تأملات قرآنية
لماذا المتشابه في القرآن؟

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[1]

لا مجال للشك في اشتمال القرآن الكريم على نوع من الآيات تسمى بالمتشابهات، وقد ذكرها صريحاً كما في الآية أعلاه.

انطلاقا من الآية الكريمة نشير إجمالاً إلى بعض الأمور:

الأول: لماذا المتشابه في القرآن؟

لا شك ولا ريب أن القرآن جاء نورا لهداية البشرية جمعاء. ﴿هُدىً لِلنَّاسِ وبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى والْفُرْقانِ﴾[2]، وذلك؛ لاشتماله على الكنوز والمعارف الإلهية، والحقائق الكونية التي تربط الإنسان ببارئه، والتي تكون سببا لهدايته.

ويأتي السؤال لماذا أنزل الباري -عز وجل- المتشابهات؟ ألم يكن بالإمكان أن تكون جميع آيات القرآن الكريم من المحكمات.

(١) آل عمران: ٧.
(٢) البقرة: ١٨٥.

وقبل بيان السر الذي قد يكون سببا لإشتمال القران الكريم على المتشابهات، لابد من الإشارة إلى معنى المحكم والمتشابه.

المحكم: من "الإحكام" وهو المنع. ولهذا يقال للمواضيع الثابتة القويّة "محكمة" أي أنّها تمنع عن نفسها عوامل الزوال. كما أنّ كلّ قول واضح وصريح لا يعتوره أيّ احتمال للخلاف يقال له "قول محكم".

وعليه فإنّ الآيات المحكمات هي الآيات ذات المفاهيم الواضحة التي لا مجال للجدل والخلاف بشأنها.

المتشابه: هو ما تتشابه أجزاؤه المختلفة. ولذلك فالجمل والكلمات التي تكون معانيها معقّدة وتنطوي على احتمالات مختلفة، توصف بأنّها «متشابهة».

وفي مقام الجواب نقول:

لاريب أن الباري -عز وجل- حكيم، فجميع أفعاله حكيمة.

فوجود المتشابهات في القرآن الكريم نابعة عن حكمة إلهية، وعلى العموم يمكن أن تكون الأسباب التالية هي السر في وجود المتشابهات في القرآن الكريم:

١- قصور الألفاظ في نفسها عن حمل مضامين ومعاني القرآن العالية؛ لأن الإنسان غالباً ما يكون متأثراً بالمحسوسات.

٢- كثير من الحقائق القرآنية هي أمور غيبية وترتبط بالعالم الآخر، أو بعالم ما وراء الطبيعة مما هو

بعيد عن أفق تفكيرنا من جهة سمو تلك المعاني. وهذا أشبه بالذي يريد أن يشرح لجنين في بطن أمه قضايا هذا العالم الذي لم يره بعد[3].

٣-حتى يعرف الناس مدى لياقتهم وحدود قابلياتهم؛ فلا يتهاونوا ويستهينوا بالقرآن، ويدعوا الإحاطة بكل جوانبه.

٤-انها نوع من الامتحان للإنسان، كامتحانه بالتكاليف؛ ليميز المطيع من العاصي، فكذلك وجود المتشابه كحالة امتحان للإنسان، ليميز من يلتزم بما أمر الله به ممن لا يلتزم. وعلى هذا يكون وجود المتشابه وسيلة؛ لاختبار الناس فالفئة المنحرفة والضالة توظف هذه الآيات لأغراضها الدنية، فيما تعمل الفئة العالمة من خلال ارجاع المتشبهات إلى المحكمات وكشف معانيها الصحيحة، وفي هذا السياق ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط المستقيم»[4].

٥-إن وجود المتشابه في القرآن الكريم قد يكون من باب إثارة الحركة في الأفكار والعقول، وهذا يدعوا للتفكر والتدبر في آياته.

٦- لعل من الأسباب المهمة هو إرجاع الناس إلى أهل العصمة، والاعتراف بهم عمليا والاستفادة منهم علمياً.

(٣) الامثل: ٢/ ٣٩٥.
(٤) تفسير نور الثقلين: ١/ ٣١٨.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام -في وصيته إلى مالك الاشتر-: «نحن أهل رسول الله صلى الله عليه وآله، الذين نستنبط المحكم من كتابه، ونميز المتشابه منه»(٥).

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني عن كتاب الله؛ فانه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل»(٦).

الثاني: موقف أهل البيت من المتشابهات:

للتعرف على موقف أهل العصمة والطهارة من المتشابهات، لابد من الرجوع إلى الروايات الصادرة عنهم وذلك؛ لأنهم حملة أسرار الكتاب والعارفون بناسخه ومنسوخه، محكمه من متشابهه، والعالمون بتأويلة فقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «والله ما نزلت آية في كتاب الله في ليل، أو نهار إلا وقد علمت في حق من نزلت ولا أحد ممن مر على رأسه المواسي من قريش إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله تسوقه إلى الجنة أوالنار»(٧).

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «...ولا تتبعوا متشابهه، فو الله لا يبين لكم زواجره ولا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده يعني -علي عليه السلام-»(٨).

وورد عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال لأبي حنيفة بعد ما سأله: «يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق

(٥) تحف العقول: ١٣٥.
(٦) الطبقات الكبرى: ٢/ ٣٣٨.
(٧) البحار: ٣٥/ ٣٨٧.
(٨) الاحتجاج: ٣٥.

معرفته؟ وتعرف الناسخ والمنسوخ قال: نعم قال يا أبا حنيفة لقد ادعيت علما ويلك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم ويلك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا ما ورثك الله من كتابه حرفاً»(٩).

وخلاصة القول:

يتضح مما تقدم إجمالا أهم الأسباب لوجود المتشابهات في القرآن الكريم، كما أن جعل القرآن بأسلوب خاص يحتاج الرجوع إلى المعصوم، وأما غير المعصوم فلا يمكنه فهمه.

وبذلك لا يمكن الاستغناء عن المعصوم في فهم القرآن الكريم.

وعليه تكون الحاجة إلى أهل البيت ماسة وضرورية لا تنفك بمقدار الحاجة إلى القرآن الكريم كما هو صريح قول النبي صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين.

«إني تارك فيكم خليفتين: كتاب، حبل ممدود ما بين الأرض والسماء أو ما بين الأرض الى السماء، وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»(١٠).

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية
www.darhikma.net

(٩) وسائل الشيعة: ١٨/ ٣٠.
(١٠) مسند أحمد بن حنبل: ٥/ ١٨٢.

مركز دراسات للتنمية والدراسات الإسلامية
٣٨

تأملات قرآنية

لماذا المتشابه في القرآن؟

الشيخ مؤيد الحلي